

القيامة (١)

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

● المقدمة : آبائي واخوتي

ها الفصح قد أتى ، اليومُ التَّهَجُّج ، المانحُ الفرح والسُّرور ، يومُ قيامةِ المسيح .
الفصح العائد إلينا في كل سنةٍ بل الصائِر بالأحرى كلُّ يومٍ وعلى الدوام في
النفوس العارفةِ سرِّه . لقد ملأ قلوبنا فرحاً وبهجةً لا توصف وأنهى في الوقتِ
ذاته مشقَّة الصومِ الوقورِ ، لا بل أكمله وعزَّى نفوسنا في آينٍ واحدٍ . من أجلِ
ذلكَ يعبرُ كما ترون ، داعياً ايَّانا والمؤمنين معاً الى الراحةِ والشُّكران .

فلنشكر إذاً الربَّ الذي أهَّلنا لأن نجتازَ بحزِّ الصُّومِ وهُدانا بفرحٍ الى مرفأِ
قيامته . ليشكره كلُّ من خاضَ شوطَ الصومِ بجدِّ ونشاط ، بهمةٍ وحرارة ،
بجهداتٍ في سبيلِ اكتسابِ الفضيلةِ . وليشكره أيضاً كلُّ من تقاعسَ بسببِ
الإهمالِ وحبِّ النفسِ ، لأنه يَمُنِّحُ أكاليلَ مضاعفةٍ للمجاهدين الأشداء ، وأجرأ
لائقاً بأعمالهم ، ويُسامحُ الضعفاءَ المُتَهَامِلِينَ لأنه رَحِيمٌ ومحبٌّ للبشر . ينظر الى
قلوبنا واستعدادها ، الى النوايا ، اكثر ممَّا ينظرُ الى الاتعابِ الجسدية التي نبذلها في
سبيلِ الفضيلةِ أبذلنا جهداً كبيراً بعزمٍ كلِّيٍّ أم قمنا ، بسببِ ضعفِ الجسد ، بأقلِّ
مما يقومُ به المجاهدون الأقوياء . يوزَعُ الجوائزَ ومواهبَ الروحِ لكلِّ واحدٍ حسب

(١) هذا انقال عن القيامة هو حديث للقديس سمعان اللاهوتي الحديث ألقاه على تلاميذه
بمناسبة عيد الفصح . وهو من تعاليمه رقم ١٣ . ولد القديس في عام ٩٤٩ تلمذ على
يد الشيخ سمعان التقي ، مرَّ بديرِ الستوديت ثم أصبح رئيساً لدير القديس ماما في
القسطنطينية .

التوايا ويتوافق . فإما ان يُبرز أحدَ المجاهدين الأشداء ويمجده أو يدَعُهُ وضِعماً راجياً
منه نقاوة أكثر .

● قيامة المسيح السرية

لتر ان شتتم ، وتأمل جيداً ماهية سر قيامة المسيح الهنا ، السر الذي نودُّ ان
يتمَّ فينا (بصورة روحية) . لتر كيف أنَّ المسيح مدفون فينا كما في قبر وكيف
أنهُ ، عندما يتَّخذُ بنفوسنا ، يتَهَضُّ ويتَهَضُّنا معه . واليكم توضيح الكلام : ذاق
الموتَ ونزلَ الى أسافل الجحيم . ولدى صعوده من الجحيم اتَّحد بجسده الطاهر
الذي لم ينفصل عنه أبداً^(٢) ، وقام للحال من بين الأموات ، ثم صعد الى السماء
بمجد عظيم . هكذا الآن أيضاً عند خروجنا من عالم الخطيئة ودخولنا على شبه
الأم المسيح في قبر التواضع والتوبة ، يتَّخذُ هو بالذات من السماء ويدخلُ في
جسدنا كما في قبر ، ولدى اتِّحاده بنفوسنا يُنهضُها كونها مائة بالحقيقة ، ويؤهلنا
نحن القائمين هكذا معهُ الى رؤية مجد قيامته السرية .

قيامته المسيح هي قيامتنا نحن الواقفين في الخطيئة . ولكن كيف يمكن أن
يقوم ويتمجد ذاك الذي لم يسقط أبداً في خطيئة ، كما كُتِبَ عنه ، ولم ينفصل
البيته عن مجده ، الذي هو ممجد على الدوام بصورة فائقة ، الكائن في الوقت
نفسه فوق كل رئاسة وسلطة . قيامة المسيح ومجده هي قيامتنا بالذات كما
ذكرنا ، هي التي تحصلُ لدى قيامة المسيح فينا ، تكشفُ لنا ونراها . فهو ما أن
يسكن مرةً في طبيعتنا حتى يفعل فيها كلَّ ما تمَّ في طبيعته الخاصة أولاً . قيامة
النفس هي اتِّحادها بالحياة . كما ان الجسد المائت ان لم يقتل النفس الحية

(٢) ولعلَّ قُلتَ لكُنك لم تنفصل عن الجسد الذي ساهمته (الاولدية السادسة من قانون
السبت العظيم).

ويتحد بها بدون امتزاج لا يُقال عنه إنه حَيٌّ ولا يمكنُ له أن يحيا، هكذا فإن النفس لا تستطيع ان تحيا وحدها إن لم تتحد بالله، الحياة الأبدية للحقة، اتحاداً فائقاً لا اختلاط فيه. فقبل الاتحاد تكون النفس مائتة بالمعرفة، بالرؤيا وبالحنس، مع انها روحية وازلية بالطبيعة، لأن المعرفة لا تكون بدون رؤيا ولا الرؤيا بدون تحسس. واليكم ما اقصد بالضبط: الرؤيا تأتي أولاً، وبالرؤيا المعرفة والحنس (أقول ذلك بالنسبة للأمور الروحية لأن الجسد يتحسس حتى بدون رؤيا). الأعمى عندما تصدم رجله حجراً يتحسس للصدمة، أما المائت فلا. بالنسبة للأمور الروحية ان لم يرتفع العقل الى مستوى الرؤيا، رؤية الأمور التي تتخطى المعاني، لا يتحسس فعل النعمة السيري.

إذاً في الحقل الروحي، كل من يتحسس الأمور الفائقة على العقل، على الكلام والمعنى، قبل ان يأتي الى الرؤيا، يشبه الأعمى الذي من جهة يشعر بما يحصل من خير أو شر لكنه يجهل ما يجري أمامه (أي لا يميز)، وما يكون له سبباً للحياة أو للموت. ذلك أن كل مل يتبع من حسنة أو سيئة لا يدركها أهدأ لأنه فقد القدرة على الرؤيا والمعرفة. لذلك، وفي كثير من الأحيان، يرفع عصاه أمام العدو فيصيب بالأحرى صديقاً له بينما يكون العدو جاثياً أمامه ومستهنئاً به.

* * *

● عمل الروح القدس

كثيرون هم الذين يؤمنون بقيامة المسيح، لكن قليلون هم الذين يرونها بوضوح. طبعاً الذين لم يروها بالروح لا يستطيعون ان يسجدوا ليسوع المسيح قدوساً ورباً. لقد قيل: «لا يستطيع أحد ان يقول أن يسوع هو الرب إلا بالروح القدس»، وقيل أيضاً: «الله روح والذين يسجدون له ينبغي لهم ان يسجدوا

بالروح والحق (يو ٤: ٢٣). ان النص الشريف الذي نتلوه دائماً (٣) لا يقول: «اذ قد آمننا بقيامة المسيح»، بل «اذ قد رأينا قيامة المسيح»، فلنسجد للرب القدوس البريء من الخطأ وحده...».

كيف يمكن للروح القدس ان يحثنا - وكأننا رأينا ما لم نُشاهد فعلاً - على القول: «اذ قد رأينا قيامة المسيح»، رغم أن ناسيخ تام مرة واحدة قبل ألف سنة (٤)، وحتى في لحظة القيامة لم يره أحد (٥)؟ أيا تي الكتاب باقوال كاذبة؟ حاشا! على العكس هو يدعونا الى ان نقول الحقيقة لأن قيامة المسيح تحصل فعلاً في نفس كل مؤمن على حدة، وذلك ليس مرة واحدة، بل في كل ساعة يقوم المسيح السيد فينا حاملاً الضياء ومشعاً بأشعة الألوهية، وعدم الفساد. ذلك أن حضور الروح القدس المنير يكشف لنا قيامة السيد كما في نور صباحي، أو بالأحرى يؤهلنا لرؤية المسيح نفسه قائماً. لذلك نقول: «الله الرب ظهر لنا»، ونتابع مؤكداً على مجيئه الثاني «مبارك الآتي باسم الرب».

ان الذين يظهر لهم المسيح قائماً يزونه روحياً وبأعينهم الروحية، أي عندما تدخل المسيح فينا بنعمة الروح القدس نقيمنا من بين الأموات، نُحيينا ويؤهلنا لأن نراه في ذواتنا حياً كله، وهو العديم الموت والفناء. ليس هذا فحسب بل يُعطينا أيضاً موهبة إدراك حضوره البهيج مقيماً وممجداً ايانا كما يشهد على ذلك الكتاب المقدس بأسره.

هذه هي أسرار المسيحيين الإلهية، هذه هي قوة إيماننا الخفية، القوة التي لا يعرفها الملحدون والمُشككون وقليلو الإيمان، ولا يُمكنهم ان يزوها.

(٣) في الأحاد وفي الفصح.

(٤) القديس سمعان اللاهوتي الحديث يتكلم ويكتب في النصف الأول من القرن الحادي عشر.

(٥) إذ كان القبر مختوماً أشرق منه أيها الحياة... (طروبرية أحد توما).

• الإيمان والأعمال

المُلهَدون والمُشكِّكون وقليلو الإيمان هُم الذين لا يُترجمون الإيمان بالأعمال ، فإنه ، بدون أعمال ، الشياطين أيضاً تؤمن وتُعرف بأن المسيح السيد هو الله إذ تقول : « قد عَلِمنا أنك ابنُ الله » ، وفي مكانٍ آخر « هؤلاء الرجال هم صبيدُ الله العليّ » . ولكن هذا الاعتراف لا يفيدُ الشياطين ولا قليلي الإيمان . لا فائدة لمثل هذا الإيمان كونه ميثاً حسب قول الرسول الإلهي : « الإيمان بدون أعمال ميتٌ » (يعقوب ٢ : ٢٠) . كذلك هي الحال مع الأعمال بدون إيمان . ولماذا هو ميتٌ ؟ لأنه لا يتضمَّن في داخله الله الحي والمقاتل : « الذي يُحِبُّني يحفظ وصاياي وإليه تأتي أنا وأبني وعندهُ نصنع مسكناً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) . هذا حتى لا يبقى مُغلغلاً على الإيمان فإن الله بحضوره يُقيمُ المؤمن من بين الأموات ، يُحييه ويؤهله لرؤيته بوضوح كلي قائماً في داخله .

هذا الإيمان إذا بدون الأعمال ميتٌ للأسباب التي ذكرنا . والذين يمتلكونه هم أيضاً أموات ، لأن الله بالإيمان حيٌّ على الدوام ويُحيي الذين يأتون إليه بنشاطٍ حسنٍ ويتقبلونه . لقد قاد الكثيرين من الموت إلى الحياة حتى قبل أن يتموا وصايا الله ، وكشَّف لهم عن المسيح الإله . ولو بقوا أميين على الوصايا ، مطبقين إياها حتى الموت ، لحفظوا أنفسهم بواسطتها ، وذلك بسبب إيمانهم الحيّ وحده . لكنهم تراجعوا إلى الوراء كمثل قوسٍ مشدودٍ عالقين في شبكة أعمالهم السالفة ، فأضاعوا للحالٍ إيمانهم وجزدوا أنفسهم من المسيح الإله الجوهرة الحقيقية^(٦) .

لحفظ إذاً وصايا الله على قدر استطاعتنا حتى لا يحصل لنا مثل ذلك ولكي نتمتع بالخيرات الحاضرة والمستقبلية ، وأخصّ بالذكر رؤية المسيح التي نشتهيها كُلُّنا بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي يليق له كلُّ مجدٍ إلى أبد الدهور ، آمين .

(٦) وصف رائع واقعي معاصر لحالة المسيحيين اليوم بصورة عامة.